وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

الأثر البياني للتشبيه في التعبير القرآني

رسالة مقدمة إلى

مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات

نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

من قبل الطالب

أحمد خلف عبدالله منهل

بإشراف

أ.د. إياد عبد الودود عثمان الحمداني

١٤٣٦هـ جمادى الأولى

٢٠١٥م نيسان

الفصل الأول

التشبيه في منظومة البيان العربي

مدخل:

يحيل الجذر اللغوي (شبه) على معنى الشبه بين شيئين أو أكثر وجاء في المعاجم اللغوية بمعان ذات دلالات تصب بمصب واحد وهو التماثل بين شيئين أو أكثر بصفة معينة أو أكثر.

قال الخليل: ((وشبّه فلانٌ عليّ، إذا خلّط، واشتَبَهَ الأمرُ، أي: اختلط. ورأيتك مِثْلَه في الشَّبَهِ والشِّبْهِ، وفيه مَشابِهُ من فلان))[1]، إن الاختلاط بالأمر والتماثل بين الأشياء لا يحدث إلا بالتداعي والاشتراك بأمر معين يجعل الأمور تتشابه وتتماثل ، والمماثلة: ((الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المثل، والجمع أشباه. وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ : ماثله [...] وأَشْبَهْتُ فلانا وشابَهْتُه واشْتَبَه عَلَيَّ وتشابه الشيئان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه، وشَبَّهه إياه وشَبَّهَه بِهِ مَثَّلَهُ والتشبيه التمثيل))[2].

وتتجلى حقيقة الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ المماثلة بين شيئين لا يتميز أحد الشيئين عن الآخر لما بينهما من التشابه ، والمتشابه من القرآن ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره من حيث اللفظ أو المعنى[3] ، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [ال عمران:٣/٧] ((أي يشبه بعضها بعضا))[4] ، وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:٤٢:١١] ((ضرب لبسط الكلام))[5] والشبه بين الأشياء يكون متفاوتا على مستويات على وفق الصفات المشتركة التي تجمع الأشياء وفق أمر معين ((الشَّبَهُ:

---

(١) كتاب العين : مادة (شبه)، وينظر: أساس البلاغة : مادة (شبه).

(٢) لسان العرب : مادة (شبه) .

(٣) ينظر : المفردات في غريب القرآن : مادة (شبه) .

(٤) كتاب العين : مادة (شبه).

(٥) المفردات في غريب القرآن : مادة (شبه).

ضربٌ من النّحاس يُلْقَى عليه دواءٌ فيَصْفرّ، وسُمّي شَبَها، لأنه شُبِّهَ بالذّهب))[١] فالشبه يكون من ناحية اللون لا من ناحية المعدن ((وفي فلانٍ شَبَهٌ من فلان وهو شَبَهُهُ وشِبْهُهُ ، أي : شبيهُهُ، وتقول : شبّهت هذا بهذا ، وأشبه فلانٌ فلانا))[٢] لوجود أمر مشترك بين الطرفين .

والتشبيه ((شِبْه وشَبَه وشبيه، وفيه شَبَه منه، وقد أشبه أباه وشابهه، وما أشبهه بأبيه))[٣] ، واشتبهت الأمور إذا اقترن بعضها ببعض بأمور تجعلها أكثر تشابها مما يؤدي إلى التباس بعضها ببعض[٤] .

((الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المثل، والجمع أشباه))[٥] فالتداخل والاشتراك بين الأشياء من جهات معينة يجعلها أكثر تلاؤما للمشابهة والتماثل فيما بينها، فتبدو للمقابل بأداء أكثر اتصالا ووضوحا .

إن البنية اللغوية لمادة (شَبَّه) في المعاجم العربية تشير إلى التشابه والتماثل بين شيئين أو أكثر لوجود صلة مشتركة بين الطرفين بوجه معين أو أكثر من وجه سواء كان حسيا أو معنويا ، يجعل التماثل والتشابه بين الأشياء أكثر تلاؤما لوجود قرينة مشتركة بين الطرفين .

فالتشبيه بين الأشياء يحصل بأمور عدة ومنها التمثيل الذي يؤدي بالمعنى المراد إلى ((تصويرُ الشيءِ كأنَّه تنظُر إليه. والتِّمثال: اسْمٌ للشيءِ المُمَثَّل المُصَوَّر على خِلْقةِ غيره))[٦]، لإظهار عملية التداخل والتشابه بين الطرفين في المثال والقدر

---

(١) كتاب العين : مادة (شبه).

(٢) المكان نفسه.

(٣) أساس البلاغة : مادة (شبه).

(٤) كتاب العين : مادة (شبه).

(٥) لسان العرب : مادة (شبه).

(٦) كتاب العين : مادة (شبه).

والقدر ونحوه حتى في المعنى[١] ، والتشبيه : التمثيل[٢] إذا مثلته أي شبهته بالتمثيل ، فالتمثيل خاص والتشبيه عام[٣] .

((ومثَّله به شَبَّهه، وتمثّل به: تشبَّه به، ومثل الشيءُ بالشيءَ : سوّيَ به وقُدِّر تقديره))[٤] وإن كل تماثل وتشابه بين الشيئين لا يكون من فراغ بل من مغزى معين وروابط توثق هذا التماثل والتشابه ، ((والمِثْل: الشِّبْه))[٥] المِثْل أثر من آثار التشبيه لأداء بياني بتعبير معين لنقل الشيء من أمر إلى أخر ليكون أكثر انبعاثا للإدراك ومخاطبا للحواس ومحرك للخيال .

وأن الشبه بين الشيئين وتمثيل الواحد بالآخر يراد منه إنزال المشبه منزلة من منازل المشبه به ، أو بمعنى من معانيه أو يقدر بقدره على وفق علاقة دلالية بين الطرفين تجعل المعنى المقصود أكثر إيحاءً اتجاهه من خلال التماثل بين الطرفين . ومِثل ((كلمةُ تَسْوِيَةٍ، يُقال: هذا مِثْله ومَثَله كما يُقال شِبْهه وشَبَهُه))[٦] فـ (التسوية) (التسوية) تكون بين شيئين مختلفين في الجنس والمتفقين من ناحية التكافؤ الذي يُعد التسوية والمماثلة تكون في المتفقين وأن يسدّ الواحد مَسَدّ الآخر من جهة دون جهة[٧].

فـ (التشابه والتماثل) بين الأشياء له بُعد في الواقع الاجتماعي العربي الذي يستمد منه الكثير من الدلالات التي تشكل حضورا بارزا في الدرس البلاغي العربي.

---

(١) كتاب العين : مادة (شبه).

(٢) الصحاح : مادة (شبه).

(٣) ينظر: أسرار البلاغة : ٩٥.

(٤) أساس البلاغة : مادة (شبه).

(٥) لسان العرب : مادة (مثل).

(٦) المكان نفسه.

(٧) ينظر: المكان نفسه.

٤٧٤هـ) هو((أول من أسس علم البلاغة تأسيسا بالغ الدقة))[١] ، لما أعطاها من حياة جديدة ، إذ يشير إلى التشبيه قائلا:((والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتُدركه العقول، وتُسْتَفتَى فيه الأفهامُ والأذهان، لا الأسماع والآذان))[٢] فمنح عبد القاهر الجرجاني هذا المصطلح (التشبيه) الروح والمستودع الحقيقي الذي منحه إياه في قلب يعيه وعقل يدركه ؛ لأثره في النفس في عملية التعبير عن المعنى المراد واقراره إلى قلب السامع ، لأهميته في التعبير عن المعنى وبيانه بأفضل ما يكون من التعبير الحسن بأنماط بيانية ذات دلالات إيحائية ((فالتشبيه والتمثيل والاستعارة، فإن هذه أصولٌ كبيرة، كأنَّ جُلَّ محاسن الكلام))[٣] لما لها من حضور بارز في الإنتاج الأدبي وأثرٍ فعال في بيان المعنى بأحسن صياغة من التعابير بأنماط بيانية تشكل لوحة فنية للمعنى .

والتشبيه : ((كالأصل في الاستعارة، وهي شَبِيهٌ بالفرع له، أو صورة مقتضبة من صُوَره))[٤] فبنية جملة التشبيه ذات طرفي التشبيه تتكون من ((طريقين مشبه ومشبه به اشتراكا بينهما من وجه، وافتراقا من آخر، مثل أن يشتركا في الحقيقة، ويختلفا في الصفة، أو بالعكس))[٥] ، فالعلاقة بين طرفي التشبيه تكمن في الصفة المشتركة بين الطرفين في ضوء التوظيف التعبيري لبنى الجملة التشبيهية ، للتعبير عن بيان المعنى المراد من خلال التشبيه الذي يشير إلى ((الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى))[٦] لا يمكن إدراكه بصورة أكثر بيانا إلا من خلال التشبيه ،

---

(١) أسرار البلاغة : (مقدمة المحقق) : ٢٧.

(٢) المصدر نفسه : ٢٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٧ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٩ .

(٥) مفتاح العلوم : ٤٣٩.

(٦) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني : ٢١٣ .

ولم يستقر المفهوم الاصطلاحي للتشبيه على تعريف جامع مانع يمنحه الرسوخ بصورة أكثر بيانا ووضوحا ودقة في القرنين الثاني والثالث الهجريين على الرغم من تناوله على يد الكثير من العلماء العربية في كتبهم المختلفة؛ إذ لم يعطوه المفهوم الدقيق.

وازداد البحث البلاغي للتشبيه في القرن الرابع الهجري واستقرت الكثير من المفاهيم البلاغية وظهر تعريف أبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) فهو عنده ((الوصف بأنّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب التشبيه منابه أو لم ينب، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه))[١]، فازداد المفهوم الاصطلاحي لتعريف التشبيه بطريقة أوضح تعبر عن إنه ركن أساس من أركان علم البيان في التصوير البياني للمعنى .

وقال الرماني (ت٣٨٦هـ) إن التشبيه : ((هو العقد على أن أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسٍّ أو عقل))[٢]؛ إذ يشير التعريف إلى دلالة العقد بين طرفي التشبيه ووصف هذا العقد بالحسٍّ أو العقل ، والعقد : ((الجمع بين أطراف الشيء))[٣]، ويزداد الوضوح والبيان أكثر لمصطلح (التشبيه) ، نظرا لتناولهم للمصطلح بشكل خاص وعلم البلاغة بتعدد فروعه وتنوعها ، فالبحث البلاغي أصبح أكثر توسعا وانتشارا بمجالات شتى وهذا دليل وامتداد للذائقة السليمة نحو الدرس البلاغي العربي على يد علماء العربية ، فازدادت العناية بصورة أكبر وبشكل أوضح على يد الكثير من علماء العربية اللاحقين منهم عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ أو

(١) كتاب الصناعتين : ٢٤٥.

(٢) ينظر: النكت في إعجاز القرآن : (ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن) : ٨٠ ، اعجاز القرآن للباقلاني : ٢٦٣ .

(٣) المفردات في غريب القرآن : مادة (عقد).

إذ إن المشاركة بين طرفي التشبيه تقتضي معناً مشتركاً ذا سياق معين لينتج وجه الشبه بصورة معينة ، تتبين المفاهيم الأساسية ذات الدلالات لهذا المصطلح البلاغي الذي يشير إلى التشبيه بأنه نمط بياني .

فالتشبيه هو أحد الفنون البيانية في علم البيان الذي يشير إلى الحكم في تبين الصفة المشتركة بين طرفي التشبيه والعقد بينهما بصورة بيانية ذات معرض حسن، يقرب بين المتباعدات، ويعبر عن بيان المعنى المشترك لإخراج الخفي إلى الجلي ليكون مؤثرا في النفوس وقد استقرت هذه الرؤية في الدرس النقدي الأصيل[١] .

فتبقى العلاقة المشتركة بين طرفي التشبيه هي المدار الأساس الذي تدور فيه جميع الآراء حول نسبة وكيفية وماهية هذه العلاقة بين طرفي جملة التشبيه من أجل تبيين الأمر المشترك بصورة معينة .

والتشبيه ذو مستويات بلاغية بيانية لا يمكن مجاراته إلا بوعي وإدراك ، لما يحمله من روح بيانية ذات انبعاثات متجددة ومستمرة لا يمكن إدراك الكثير منها إلا برصد المتحقق برؤية عقلية متمحصة جيدا بالعلاقة المشتركة وكيفية التوفيق بين طرفي التشبيه ـ المشبه والمشبه به ـ من جهة، والفنون البلاغية الأخرى التي تتداخل في بعض الأحيان فيما بينها ، لقيام بعضها على بعض في الكثير من المواضع في النتاجات الأدبية لإنتاج صور بيانية متلونة بألوان الفنون الإبداعية لبيان المعنى من جهة أخرى .

---

(١) ينظر : النكت في إعجاز القرآن : (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) : ٨٠ كتاب الصناعتين : ٢٤٥ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٦٤ ، العمدة : ١ / ١٩٤ ، أسرار البلاغة : ١٣٠ ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٢ / ١٥٣ ، التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن : ١٠٨ ، الطراز : ١ / ٢٦٢ ، الإيضاح : ٢١٣ ، شرح التلخيص في علوم البلاغة : ١٣٤ ، حسن التوسل إلى صناعة الترسل : ١٠٦ ، حدائق السحر في دقائق الشعر : ١٣٨ ، الأقصى القريب في علم البيان : ١٤١ .

ويعد عبد القاهر الجرجاني من الرواد البارزين الذي أعطى للبلاغة العربية صورة جديدة تمتاز بالحيوية والانبعاث ؛ لما لها من حضور في مختلف النتاجات الأدبية والمستويات كافة على مرّ العصور .

فـ (البلاغة العربية) لها أثرها في تحسين الكلام وبيان المعنى الذي ينطوي تحت علم البيان بما فيها (التشبيه).

والبلاغة بعلومها تهدف إلى إبلاغ المعنى إلى قلب المتلقي بصورة بيانية تكشف المعنى للسامع بمعرض حسن[١] مع ((جودة القريحة وطلاقة اللسان وذلك من فعل الله تعالى لا يقدر العبد على اكتسابه))[٢]، فالمعنى يحتاج إلى حسن التعبير عنه ليكسبه قوة وبياناً وتأملاً، وأنماط حسن التعبير متعددة لكل منها مسمّى يحمل دلالاته ويمرّ بمراحل نمو متعددة ليرتقي إلى المستوى الراسخ.

المعالجة النقدية التقليدية:

إن البحث البلاغي أخذ حيزا واسعا في الدراسات الأدبية، منذ وقتٍ مبكرٍ؛ إذ إنه شغل الكثير من النقاد ولبلاغيين لتصب أقلامهم في دراسة الموروث الأدبي الذي زاد الدرس البلاغي رسوخا وانطلاقا في عالم الفنون.

إن عملية تناول الموروث الأدبي فضلاً عن الدراسات القرآنية التي، كانت ذات مستويات متعددة تنمو شيئاً فشيئاً على مرّ العصور، وهذا ما لمسناه بصورة مباشرة من خلال تناولنا لـ (مصطلح التشبيه)، وأثره الدلالي في تبيين المعنى وتزيين الأسلوب في النصوص، الذي أخذ حيزا واسعا بين سائر الفنون البلاغية الأخرى؛ لما له صلة مباشرة بجماليات النصوص ونسبة التفاوت فيما بينها، فـ (البيان) يعطي قوة

(١) ينظر : كتاب الصناعتين : ١٦.

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٢٦.

أدائية؛ لتأدية المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي؛ إذ إنهُ ((تناولته أقلام العلماء والأدباء والنقاد على حسب تصورهم معناه ؛ وكان من مجموع ما كتبوا ذلك التراث الخالد الذي سمي حينا بياناً))[١]، وسمي كذلك بالبيان والبديع والفصاحة والبلاغة ولا سيما في العصور الأولى للدراسات الادبية؛ إذ كانت المصطلحات لم تستقر على مفهوم معين ودلالة خاصة لترسِ إليها وإلى ماذا تشير وما هدفها وخصائصها ؟ لأن تفاوتاً كبيراً حاصلٌ في تعدد الرؤى حول تناول النصوص وتبيين المصطلحات، فـ (الأسلوب) الذي ورد فيه النص هو محط أنظار الدارسين بكل ما يحتويه من فنون ابداعية.

إن عملية ترسيخ المصطلحات ونموّها مرّتَ بمراحل عديدة، ومنها المصطلحات البلاغية، ولا سيما (التشبيه)؛ بوصفه محط أنظار الدراسة ؛ لما يعطيه التشبيه من تحولات تصويرية لبيان المعنى وأثره البعيد في رسم المجسمات الرئيسة للتعبير ، وما يولدهُ من تصورات للمعنى بصور متجددة.

إن الدراسات البلاغية سابقة سائر فروع الدرس الأدبي، فقد حظيت بالاستقلال منذ القرن الثالث الهجري؛ ولكن بناءها أخذ يتكامل على مر العصور متخذين التراث الأدبي في البلاغة للسابقين المنطلق لما رأوه مناسبا[٢].

يشكل الموروث الأدبي كتاب الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم الأرض الخصبة والمستند الحقيقي لسائر العلوم الأدبية بما فيها البلاغة والنقد، والتشبيه الذي يعدّ من الروافد الأساسية لعلم البيان بين سائر الفنون البلاغية الأخرى؛ فـ (المعالجة النقدية) لرصد ماهية الاسلوب للنصوص وما لهُ من أثرٍ في التعبير عنه من الأنماط البيانية (التشبيه) الذي أخذ حيزاً واسعا في تناوله على أيدِي الأدباء؛ لأثره البياني في رسم

(١) البيان العربي ، بدوي طبانة : ١٩.

(٢) ينظر : المكان نفسه.

أبعاد التصوير في ذهن المتلقي على وفق معطياته البيانية في التعبير بأسلوب معين، فعملية رصد التشبيه في القرآن الكريم والموروث الأدبي مرت بمراحل عديدة قسمت على وفق رؤية معينة تستند إلى فكّ التلاصق بين مراحل الانتقال الفعلي لرصد ماهية التشبيه، وهذه المراحل فيما يأتي:

مرحلة علماء العربية الأوائل:

إن الموروث الأدبي حافل بالكثير من الفنون البيانية في علم البلاغة على يد العديد من العلماء وبمختلف العصور، وهذا دليل على الذائقة العربية نحو رصد النصوص الأدبية بدقة وإمعان، فيعدّ الموروث الحقيقي الذي يستمدّ منه ويُستقى منها مختلف الفنون الأدبية بما فيها النقد والبلاغة ، وإن رصد أسلوب التشبيه من العلماء الأوائل يمثل انطلاقة جديدة وبداية طريق للدراسات البلاغية اللاحقة ، بما تشكله هذه الدراسات من أثر بارز في إغناء الدرس البلاغي العربي ، لما اضافوه من رصد لهذه الفنون البلاغية التي تفتح ابوابا لدراسات جديدة لاحقة لها وتهتدي بنورها .

فهناك الكثير من الإشارات التي تحمل مصطلح التشبيه من غير التفصيل فيه بوصفه الاصطلاحي ، وهي تتعامل معه بوصفه ملمحاً أسلوبياً ، فيحسب لهم بصمة الوجود الأولى وإن كان ذا دلالات محددة ، فالفراء (ت٢٠٧هـ) تناول في كتابه (معاني القرآن) الآيات القرآنية المبنية على أسلوب التشبيه وان كان الطابع النحوي سائدا بصورة واضحة إلا أنه تناوله بوصفه ملمحاً أسلوبياً في الكشف عن المعنى وبيان ما يخفى ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة :٢/١٧١]، قال : ((أضاف المثل إلى الذين كفروا ، ثم شبههم بالراعي ، ولم يقل : كالغنم ، والمعنى ـ والله أعلم ـ مثل الذين كفروا (كمثل البهائم) التي لا تفقه ما يقول الراعي اكثر

من الصوت [...] فأضيف التشبيه إلى الراعي))[1]، فتبين المعنى من خلال إعطاء صورة بيانية عن حال الكافرين من خلال تشبيههم بما هو محسوس في الحياة اليومية وهو مشهد انقياد البهائم وراء الأصوات من دون معرفة وجهتها ، فهي منقادة من دون علم ، فبين الفراء الكثير من المعاني للآيات القرآنية المبينة على أسلوب التشبيه في تصوير المعاني وتبيانها بصورة بيانية للمتلقي .

ويعدّ أبو عبيدة (ت ٢٠٩ هـ) من أوائل الذين صنّفوا في مباحث علم البيان في كتابه (مجاز القرآن) الذي كان فيه مفهوم المجاز ما زال في أطوار تكوّنه الاصطلاحي ، وقد تناول هذا الكتاب العديد من مداخل علم البيان ، وهو ((أول من أورد مصطلح (تشبيه) فيما وصلنا من كتب تتصل بالبيان العربي ، إلا أنه لم يفصل البحث فيه ، وكان الفراء أعمق إدراكا وأكثر تفصيلا في إدراك أركانه وعناصره ، وإن لم ينص على ذلك بل كان يكتفي في عرض الأركان خلال تحليله للصور التشبيهية في القرآن))[2] ومن الصور التشبيهية التي أوردها في كتابه مجاز القرآن في تحليله لآيات القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور:٢٤/٤٥] ((فهذا من التشبيه لأن المشي لا يكون على البطن إنما يكون لمن له قوائم)) [3] وتعد التفاتة الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) التفاتة مبكرة قبل غيره لعلم البيان بمنهجٍ متميز ، إذ ألف كتابه بعنوان (البيان والتبيين) وأفردَ له باباً خاصاً أطلق عليه (باب البيان) الذي قال فيه : ((وكان في الحقِّ أن يكون هذا البابُ في أوَّل هذا الكتاب ، ولكنَّا أخرناه لبعض التدبير))[4]؛

(١) معاني القرآن : ١ / ٩٩.

(٢) التشبيهات القرآنية والبيئة العربية ، واجدة مجيد الأطرقجي : ٤ .

(٣) مجاز القرآن : ٢ / ٢٨ .

(٤) البيان والتبيين : ١/ ٧٦.

لما له من أهمية كبيرة بين سائر العلوم الأخرى ؛ إذ هو ((من نتاج العلم))[١] ؛ لأهميته في تصوير المعاني وهذا ما نطق به القرآن الكريم وما حث اليه وتفاخرت العرب به[٢] لأنه يبين القيمة الحقيقية لصاحبه ، إذ قال سيدنا الإمام عليٌّ (كرّم الله وجهه) : ((قيمة كلِّ امرىءٍ ما يحسن))[٣] .

وأورد الجاحظ الكثير من الصور البيانية التي جاءت على أسلوب التشبيه ، ولكن لم يفصل بهذا المصطلح (التشبيه) على الرغم من تناوله في كتابه (الحيوان) ، إذ قال: ((وقد زعم ناس من أهل العلم أنّ السّمك كلّه يلد، وأنهم إنما سمّوا ذلك الحبّ بيضا على التشبيه والتمثيل))[٤].

فالجاحظ عبّر عن أسلوب التشبيه من خلال تناوله بعض الآثار الأدبية الشعرية والنثرية في تبينه وتوضيحه للمعنى ، وهذا ما لمسناه في أثناء عرضه للصور التشبيهية بشكل واضح[٥]. ومن أهم الصور النثرية المستندة في مستهلّها على التشبيه قول سيدنا علي (كرم الله وجهه) في خطبة الجهاد: ((إنّ الجهاد باب من أبواب الجنة. فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء ...))[٦] .

.

وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ذو رؤية أكثر رصدا لأسلوب التشبيه في أثناء دراسته لتبيين المعنى في الكثير من المواضع ، ولكن دراسته لهذا المصطلح بات قاصرا على أنه ملمح أسلوبي لتوضيح المعنى وبيان الغامض ، إذ فسّر قوله تعالى : ﴿

(١) البيان والتبيين : ١/ ٧٧.

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٧٥.

(٣) المصدر نفسه : ١/ ٨٣ ، [ولكن هذا النص أقتبسه المحقق من : زهر الآداب : ١/ ٤١].

(٤) الحيوان : ٧ / ٧٥ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه : ١ / ٢١٨، ٢٣٠، ٢ / ٣٤٩، ٣ /، ٢٢٤، ٢٤٥، ٤ / ٣٩٤، ٤٢٤، ٤٣٤، ٤٥٨، ٤٦١، ٤٣٦، ٥ / ٢٥١، ٣٠٥، ٦ / ٤٠٩، ٤٢٦، ٧ / ٢٩، ٣٥، ١٠٣، ١٤٤.

(٦) البيان والتبيين : ٢ / ٤١ .

وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾ [ابراهيم:١٤/١٦] ((يجوز أن يكون على التشبيه ، أي يسقى ماء كأنه صديد))[١] ، فلم يزد التفصيل في أثناء عرض أسلوب التشبيه على الرغم من رصده وتبيين بعض الدلالات الخاصة به[٢]، في ثنيّات تحليله للصور التشبيهية في العديد من مواضع الذكر الحكيم ، لتوضيح المعنى وبيان دلالته.

كان الجاحظ أكثر دقة في رصد الكثير من الصور التشبيهية في كتابه (البيان والتبيين) من ابن قتيبة الذي بحث العديد من الصور التشبيهية؛ ولكن كانت متناثرة في كتابه بالرغم من تخصيص أبواب عدّة لفنون بلاغية اخرى[٣]

فإن رصد الصور التشبيهية في القرآن الكريم والنتاج الأدبي على يد هؤلاء العلماء يمثل الخطوات الأولى للدراسات اللاحقة التي زاد التفصيل والعناية بها في العصور اللاحقة؛ إذ يعد من الأنماط البيانية ذات الأثر الواضح في اغناء الدرس البلاغي ولا سيما علم (البيان)؛ ((لأثره البعيد في خدمة لغة العرب؛ إذ هو يشرح محاسنها وصنوف التعبير بها ، ويجلي أساليبها المختلفة ، وفضل التعبير بكل أسلوب منها ، ويفسر الملامح الجمالية التي تبدو في قصيدة الشاعر أو خطبة الخطيب ، أو رسالة الكاتب))[٤]، فالعلوم اللسانية تصبّ مصبّ العلوم البلاغية في خدمة البيان الذي يعد الهدف الذي سَعت إليه كل النشاطات الفكرية في خدمة الموروث الأدبي[٥]، والذي يعد المنطلق الاساس للكثير من الدراسات اللاحقة.

---

(١) غريب القرآن ، لابن قتيبة : ١ / ٢٣١ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٢٣١ ، ٣٤٨ .

(٣) ينظر : التشبيهات القرآنية والبيئة العربية : ٢٥.

(٤) البيان العربي ، بدوي طبانة : ١٧.

(٥) ينظر : المكان نفسه.

تعد هذه المرحلة من المراحل الأساسية التي أغنت الدرس البلاغي؛ لما لها من أثر بارز في رسم الصورة البدائية للكثير من الفنون التي بدأ البحث والتدوين فيها.

ومن أبرز الخصائص في هذه المرحلة، المرحلة الأولى من مراحل البحث في القرآن الكريم والموروث الأدبي، التي شكلت الباعث الحثيث للدراسات اللاحقة، وكذلك شابها الخلط بين مختلف الفنون وخاصة النحوية والبلاغية، كما لوحظ في كتاب (معاني القرآن) لـ (الفراء)، وغيرها من المصادر الأخرى التي تعد مناراً وبداية طريق للباحثين اللاحقين، فهي بمنزلة النواة الأولى من مراحل البحث الأدبي التي رسمت العديد من الخطوات الرئيسة للمنجزات اللاحقة.

مرحلة ما قبل السكاكي:

تُعد هذه المرحلة من المراحل الانتقالية الفعلية بصورة جديدة في طريقة تناول النصوص وترسيخ المصطلحات ورصدها بنظرة جديدة مكملة للدراسات السابقة التي تناولتها ، إذ تُعد هذه المرحلة مرحلة انتقاء وارتقاء للدراسات الأدبية ومنها البلاغة التي رسخت الكثير من المصطلحات بحلتها الجديدة ومنها (التشبيه) الذي يُعد موضوع البحث ،ومن رواد هذه المرحلة الذين درسوا (التشبيه) بصورة جديدة : المبرد (ت ٢٨٥هـ)؛ إذ يُعد أول من أفرد للتشبيه باباً أطلق عليه (باب التشبيه)؛ إذ قال فيه : ((وهذا باب طريف نصلُ به هذا الباب الجامع الذي ذكرناه وهو بعض ما مر للعرب من تشبيه))(١) مستهلاً هذا الباب بشاهد من الموروث الأدبي للعصر الجاهلي يقول امرؤ القيس :

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً لدى وكرها العنّاب والحَشَفُ البالي(٢)

(١) الكامل في اللغة والأدب : ٣/ ٢٥.

(٢) ديوان أمرئ القيس : ١/ ٣٨.

الذي قال فيه الرواة بالإجماع: بحسن التشبيه في هذا البيت وأصابته كلام مختصر[١]؛ إذ إنه في ((بيت واحد ، من تشبيهه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين))[٢]، إن المبرد ((سارَ شوطاً بعيداً في فهم التشبيه [...] أشبع فيه البحث عنه))[٣] لما لهُ من حضورٍ بارزٍ بصورة كبيرة في كلام العرب[٤]، لقد أعطى المبرّد صوراً متعددة للتشبيه على وفق تأثره ودقة رؤيتهُ فيها فمنحها التسميات، وأطلق عليها العديد من أنواع التسميات على وفق رؤيته الخاصة ؛ وانهُ قسم التشبيه على: التشبيه العجيب والمصيب والمحمود، والمستحسن وعجيب التشبيه، والتشبيه الحسن، والمتجاوز، وإفراط التشبيه، والتشبيه المطرُ، وحلو التشبيه، وقريبه ومن التشبيه القاصد والبعيد والجيد والمليح والجامع[٥].

أما ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) فكان سائراً على خطى المبرّد في تناولهُ للتشبيه إذ عقد لهُ باباً أطلق عليه: بـ (حسن التشبيه)[٦] الذي عدّهُ من محاسن الكلام وأصول البيان العربي ضمن البديع؛ إذ أورد الكثير من الشواهد المختارة من الموروث الأدبي في العصر الجاهلي والعصور اللاحقة؛ ولكن كانت الشواهد بصورة عامة منتقاة تتميز بالروعة والدقة والإصابة في حُسنها؛ لما تحتويه من أساليب تشبيهية متعددة ، ولا سيما

(١) ينظر: الكامل في اللغة والأدب : ٣ /٢٥ .

(٢) الكامل في اللغة والأدب : ٣ / ٢٥.

(٣) التشبيهات القرآنية والبيئة العربية: ٢٦.

(٤) ينظر : الكامل : ٣/٧٠.

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ٨/٢ ، ٢٥/٣ ، ٢٦ ، ٢٧، ٢٩ ، ،٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ .

(٦) ينظر : البديع في البديع : ١٦٦ .

ما جاء في الموروث الأدبي للعصر الجاهلي إذ استهل هذا الباب بـ(حسن التشبيه)، فقد وردت في شعر امرىء القيس أمثلة ناضجة وذات قيمة فنية واضحة ، منها قوله:

ومشدودةَ السكِّ موضونةٌ تضاءلُ في الطيِّ كالمبردِ

تفيض على المرءِ أردانُها كفيض الأتيِّ على الجَدْجَدِ[1]

وغيرها من الشواهد في هذا العصر والعصور اللاحقة ؛ ولكن ((لم يفصل تفصيل الجاحظ أو المبرد وإنما اكتفى بالإشارة الى أنها حسنة أو عجيبة، دون أن يدلل على موطن الحسن أو الجمال فيها))[2]، وجعلها بين متناول المتلقي، وكذلك أوردَ الكثير من الشواهد الشعرية التي جاءت بأسلوب التشبيه في كتابهُ (طبقات فحول الشعراء)، ومن هذه الشواهد المختارة التي تمثل حضورا بارزاً في أكثر الدراسات البلاغية ولا سيما التشبيه الذي درسه الأدباء والباحثون على مرّ العصور فضلاً عن دراسته في كتاب ابن سلّام (طبقات فحول الشعراء) متناولاً قول بشار بن برد في قوله:

كأن مثارَ النقعِ فوقَ رؤوسِنا وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ

يُعدّ هذا التشبيه في هذا البيت رَسْماً لأبعادٍ تأملية كبيرة حول وصف حال المعركة التي أوجدَ بها رسم علاقة مشتركة بين غبار المعركة والسيوف والكواكب؛ لينسج صورة حية ناطقة لهذا الحال.

ويعدّ ابن المعتز احتفى باختيارات تتمثل بالروعة والأصالة والدقة، فهو سابق غيرهُ من اللاحقين في اختياراته، وإن كان لم يزد الشرح والتفصيل بها. واتخذَ قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) التشبيه متخذاً جديداً ؛ إذ فسّر دلالات التشبيه بين الطرفين بأن الأشياء لا يمكن أن تتشابه من جميع الجهات وإنما ببعضها[3] ، وأنه كان يميل

(١) ديوان امرئ القيس : ١٨٧/١ ـ ١٨٨.

(٢) التشبيهات القرآنية والبيئة العربية : ٢٨.

(٣) ينظر : نقد الشعر : ٣٦ .

إلى كثرة التشابه بين الطرفين وكان قدامة لم يعرض الشواهد فقط وإنما يزيد بها الشرح والتفصيل؛ وإن كان إدراكه لدلالة المصطلح (التشبيه) مقتصرة على جوانب أخرى ازدادَ البحث فيها لاحقاً؛ ولكن يمثل انطلاقة أولية من الانطلاقات الأخرى التي زادت الدرس البلاغي رسوخاً وقوة.

وعمدَ الرماني (ت ٣٨٦ هـ) إلى تأصيل فكرة التشبيه من خلال منحه – التشبيه– مفهوماً معيناً؛ إذ قال فيه: ((هو العقد على أنَ أحد الشيئين يسد مسد الأخر في حسٍّ أو عقل))[١]، الذي يُعدّ إضافة جديدة إلى مفهوم التشبيه، وكذلك ربطهُ بالدراسات القرآنية متخذاً من القرآن الكريم المادة الخصبة في تناولهُ لشواهد التشبيه التي زادت المفهوم أكثر دقة وتأصيل؛ لأنها ربطت بنصوص قويمة منتقاة من الذكر الحكيم؛ لإدراك رؤية مميزة عن مفهوم هذا المصطلح (التشبيه)؛ إذ عقد لهُ باباً أطلق عليه (باب التشبيه)[٢]، وعدهُ من الأبواب التي تتفاضل فيه الشعراء وتتظاهر فيه بلاغة البلغاء؛ لما لهُ من قوة في إكساب المعنى أكثر بياناً وقسم التشبيه على قسمين: تشبيه البلاغة متخذاً آيات من الذكر الحكيم شواهداً فيه ، وتشبيه الحقيقة متخذاَ أمثلة من الواقعين الاجتماعي والأدبي[٣]، وأنهُ لم يطلْ في شرح الشواهد القرآنية التي جاءت بأسلوب التشبيه؛ وإنما يعطي صورة جوهرية عن العلاقة الناتجة بين الطرفين وإنهُ لم يتناول شواهد التشبيه جميعاً في القرآن؛ بل انتقى منها ما كان ملائماً لهذا الباب. ثم أكمل هذا المسير أبو هلال العسكري بصورة فيها شيء من الجدة إذ زادَ التفضيل في تبيين ماهية هذا المصطلح (التشبيه) الذي يُعدّ الوصول إلى حالة من الاستقرار الدلالي لماهية التشبيه، وطريقة تناولهُ في الذكر الحكيم كما فعل الرماني؛ ولكن أبا هلال العسكري ((أفاد الفائدة المرجوة مما كتبه

(١) النكت في اعجاز القرآن للرمّاني ، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) : ٨٠ .

(٢) ينظر : المكان نفسه .

(٣) ينظر : المكان نفسه .

Abstract

This study which is entitled " The rhetoric simile in Quranic mode of expression " tackles the investigation of one of the important sides of inimitability of Quranic mode of expression that necessarily leads to know the style through focusing on the aspects of expression according to the studying the rhetoric effect of simile.

The relationship between sides of simile process is a main resource of studying the modes of expression.

The study revealed very important aspects of special expressive mode which went beyond the sentential level to the scene which is based on phases in which context has a respectable role.

The Quranic expression uncovered hybrid types of simile when they interact with other types amongst are metonymy and metaphor.

The simile image executed the function of oddity when it assimilated the creator's work to the creature's and it used the aspects of simile process like tool , likeness aspect , sense and logic mode when it used the bivalence of darkness and light in order to clear up and sensical image of noticeable ability in imaging.